الحبيب ﷺ وأسلوبه في الدعوة والتربية

صدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:107]. وقبل أن نقف على أساليب الحبيب ﷺ في الدعوة إلى الله، ينبغي أن نقف ونتأمل قليلًا في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران:159].

نسترشد من الآية الكريمة بعض السمات التي اتسم بها الحبيب المصطفى ﷺ من الرحمة واللين، والتي انعكست على تعاملاته مع المحيطين به، وبالتالي على أسلوبه في تربيته ودعوته إلى الله.

قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا» (متفق عليه).

وفيما يأتي أبرز أساليب الحبيب ﷺ في التربية والدعوة إلى الله، والتي تبرز حرصه الشديد على هداية الناس جميعًا:

تقديم الترغيب على الترهيب

عَلِم الحبيب ﷺ طبيعة النفس البشرية وأن فيها إقبال وإدبار، وفيها النشاط والضعف، وأن من النفوس من لا يصلحها إلا الترغيب، ومن النفوس من لا يردعها ويهذبها إلا الترهيب.

لذا راعى الحبيب ﷺ كل هذه الاعتبارات، فجمع بين الترغيب والترهيب، بل لقد قدَّم الترغيب على الترهيب؛ لأنه أنفع وأجدى، يتَّضح هذا من موقفه ﷺ مع أبي ذر رضي الله عنه والذي يرويه لنا أبو ذر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال له: «مَا مِنْ عَبْدٍ» قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». قُلْتُ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟» قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ». قُلْتُ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟» قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ». قُلْتُ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟» قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ». (متفق عليه).

والمتأمل في تلك القصة يلحظ حرص الحبيب ﷺ على الترغيب.

الإقناع العقلي واستخدام الحوار

كان النبي ﷺ يخاطب العقل في الإنسان، ومن مواقفه ﷺ الدعوية التي تبرز ذلك موقفه من الفتى الذي جاء يستأذنه في الزنا!! كيف كان ردُّ النبي ﷺ عليه وكيف تعامل معه؟

www.withprophet.com

يروي لنا عن ذلك أبو أُمامة رضي الله عنه فيقول: «إِنَّ فتىً شابًا أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسولَ الله، ائْذَنْ لي بالزِّنا، فأَقْبَلَ القومُ عليه فزَجَرُوه»، وقالوا: «مَهْ مَهْ!!» فقال له: «(ادْنُه)، فدنا منه قريبًا، قال: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟»قال: «لَا واللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ!» قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: «لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ!» قَالَ: «وَلَا النَّاسُ جَمِيعًا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قال: «لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ!» قَالَ: «وَلَا النَّاسُ جَمِيعًا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك! قال: «وَلَا النَّاسُ جَمِيعًا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ!» قَالَ: «وَلَا النَّاسُ جَمِيعًا يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قال: «فوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ»، وقالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ» (رواه أحمد).

يوضح لنا هذا الموقف كيف كان النبي ﷺ يتعامل بالحوار والإقناع العقلي مع العصاة والمجترئين على المعصية.. تأمَّلْ كيف ردَّ على ذلك الشابِّ بأسلوبٍ عقليٍّ ومنطقيٍّ مُقْنِعٍ مُوَضِّحًا له قبيحَ طلَبِه وشناعةَ تلك المعصيةِ، والتي يأباها كلُّ أفراد المجتمع، ثم لما انتهى ﷺ من حديثه مع الشاب وضع يده الشريفة برفق وحنو على صدر الشاب داعيًا له بالمغفرة وطهارة القلب وإحصان الفرج.

وصدق رسول الله ﷺ قولًا وعملًا حينما قال: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ». (رواه مسلم).

بِمَ اتَّسمَتْ ردودُ فِعْلِ النبيِّ ﷺ في تعامُلِه مع الجاهلِين والمجترئين على طلبِ المعصية؟

الترفق بالجاهلين والتعليم بأحسن أسلوب وألطف عبارة

وليس أدل على ذلك من موقف الحبيب ﷺ من ذلك الرجل الأعرابي الذي جاء إلى مسجد رسول الله ﷺ وبال في المسجد بحضرته ﷺ !!

كيف كان ردُّ فِعْلِ النبيِّ ﷺ؟ وكيف تعامل معه؟!

روى لنا عن ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْ مَهْ!!» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ» [يعني لَا تقطعوا عليه بَوْلَه]، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ [صَبَّه] عَلَيْهِ». (رواه مسلم).

يوضح لنا ذلك الموقف كيف تعامل النبي ﷺ مع ذلك الأعرابي الجاهل، وأنه لم يُعَنِّفْه! ولم يُوَبِّخْه! بل تركَهُ حتى أكملَ حاجتَه .. وأمر أصحابه ألا يقربوه حتى يكمل حاجته؛ خشية أن يؤذيه ذلك!! وهذا من رحمته ﷺ بالجاهلين، ومن حكمته

www.withprophet.com

www.withprophet.com

وحلمه في الصبر على تعليمهم.. فلما انتهى الأعرابيُّ أوضحَ له النبيُّ ﷺ -معلمًا ومؤدِّبًا برفق- ما لهذه المساجد من الحُرمة والقُدسِيَّة، وأنها لا تصلح لفعل مثل ذلك القَذَر .. ثم علَّمه النبي ﷺ الوظيفة الأساسية للمساجد.

كانت دعوة النبي ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة، فما أثر ذلك في نفوس من دعاهم؟

استثمار المواقف والفرص

كان الحبيب ﷺ يستثمر المواقف في التعليم؛ لأنها أوقع أثرًا وأثبت في الذاكرة، ومن ذلك أن النبي ﷺ كان مع أصحابه يومًا، وإذا بامرأة من السبي تبحث عن ولدها، فلما وجدته ضمته.

هنا أراد النبي ﷺ أن يستثمر هذه الفرصة ويعلم أصحابه مدى رحمة الله، فقال ﷺ لأصحابه: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قَالُوا: لَا!! قَالَ: «واللهُ لَا يُلْقِي حَبِيبَهُ فِي النَّارِ» (متفق عليه).

والمواقف متنوعة فقد يكون الموقف موقف حزن أو خوف فيستخدم في الوعظ، كما في وعظه ﷺ أصحابه عند القبر، يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .. مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»، ثم ذكر الحديث الطويل في وصف عذاب القبر وفتنته. (رواه أبو داود).

الاعتدال والوسطية ورفض التشدد

كان من هدي النبي ﷺ في دعوته الاعتدال والوسطية ورفض التشدد في الدين.

فالتشدد المقيت يؤدي إلى المشقة على النفس ويؤدي إلى التطرف في الدين والبعد عن وسطية الإسلام، وضياع حق النفس وحقوق الآخرين. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الثلاثة الذين جاءوا إلى بيت رسول الله ﷺ ليسألوا عن عبادته .. يروي لنا عن ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه

فيقول: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا»، فَقَالُوا: «وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا»، وَقَالَ آخَرُ: «أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ»، وَقَالَ آخَرُ: «أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا...» (رواه البخاري).

www.withprophet.com

www.withprophet.com

فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ» فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا .. أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (رواه البخاري).

إنه ﷺ القدوة والأسوة الحسنة في دعوته وتعليمه وإشفاقه على الناس والبعد عن التشدد.

منهج الإسلام في العبادة منهج وسطي، وضح ذلك في ضوء موقفه ﷺ ممن أرادوا المشقة على أنفسهم والتشدد في الدين.

أسلوب الهجر

وقد استعمل النبي ﷺ أسلوب الهجر في الموقف المشهور لكعب بن مالك -رضي الله عنه- وأصحابه حينما تخلفوا عن غزوة تبوك، فهجرهم ﷺ وأصحابه، لا يكلمهم أحد أكثر من شهر حتى تاب الله تبارك وتعالى عليهم.

إلا أن استخدام هذا الأسلوب لم يكن هديًا دائمًا له ﷺ، وإنما المعيار في ذلك هو تحقيق المصلحة، فمتى كان الهجر مصلحة وردعًا للمهجور شرع ذلك، وإن كان فيه مفسدة وصد له حَرُم هَجْرُه.

أسلوب التوجيه غير المباشر

وتمثل ذلك الأسلوب في عدة مواقف: منها قوله ﷺ: «ما بال أقوام»، دون أن يخصص أحدًا بعينه، ومن ذلك قوله في قصة بريرة حينما صعد على المنبر فقال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ؟! مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَلَيْسَ لَهُ وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ شَرْطٍ» (متفق عليه).

وأحيانًا يخاطب غيره وهو يسمع، ومن ذلك حينما استبَّ رجلان عنده ﷺ وأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قال: إِنِّي لستُ بِمَجْنُونٍ». (رواه البخاري).

أسلوب الوعظ والتذكير

وقد كان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة والملل، وكان ينتهز كل فرصة مواتية تجمع المسلمين ليوجه إليهم رسائل وعظية وتذكيرية نافعة، منها حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ وَزَرَفَتْ مِنها العُيُونُ، فَقُلْنَا كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». (رواه الترمذي).

www.withprophet.com

www.withprophet.com

أسلوب ضرب القصص والأمثال

وهي وسيلة من أنفع الوسائل، وقد استخدم الحبيب ﷺ هذه الوسيلة كما في أحاديث كثيرة مشهورة: منها قصة الثلاثة أصحاب الغار، وقصة الأبرص والأقرع والأعمى، وقصة صاحبي جرة الذهب، وقصة المتداينين من بني إسرائيل .. وغيرها من القصص المليئة بالعبر والعظات التي تزخر بها كتب السيرة.

تنوعت أساليب النبي ﷺ في الدعوة والتربية، فما دلالة ذلك التنوع؟

كيف تقتدي به ﷺ

1. عليكَ بالحِلْمِ والرفق في تعليم الجاهلين متأسيًا في ذلك برسول الله ﷺ .
2. إيَّاكَ والعُنْفَ في تغييرِ المنكرِ، وتذَكَّرْ كيف كان هديه ﷺ مع المجترئين على المعصية.

www.withprophet.com